الصلاة عند مار بولس

مقدّمة

من أروع نصوص العهد الجديد التي تتكلّم عن الصلاة، هي تلك التي دوّنها القدّيس بولس بين طيّات صفحات رسائله، بحيث تشكّل النموذج الأوّل المكتوب عن كيفيّة الصلاة في الكنيسةِ الأولى. بالرغم من ذلك، فهي لا توجد في رسالةٍ واحدة، بل هي مُبعثرة في كافّة الرسائل. لذا يمكننا القول بأن القدّيس بولس لم يترك تعليماً خاصّاً عن الصلاة، بل خبَّر بأسلوبٍ عفويّ عن حياته الرسوليّة واختباره الروحيّ. هذا الأمر يعود إلى أنّ رسائله كُتبت في ظروفٍ خاصّة تعكس أوضاعاً محليّة في الكنائس ولا تهدف إلى تأليف أبحاثٍ لاهوتيّة مُتكاملة.

من أبرز الحقائق الواضحة عنده هو أنّه لا يفصل بين الصلاة والحياة اليوميّة، كما وأنّه يضع حياته الروحيّة دوماً في إطارٍ ثالوثيّ: هو، والله، والآخرين. بتعبيرٍ آخر، صلاته هي شرطٌ أساسيّ للقيام بأيَّة رسالة، وهي في نفس الوقت فعل شكرٍ دائم يرفعه إلى الله ليتّحد به ويحمل معه الآخرين.

١. التناغم بين الحياة اليوميّة والصلاة

قبل التطرّق إلى الثوابت الرئيسيّة في الصلاة البولسيّة، يلفت انتباهنا السؤال عن دوافع التناغم بين صلاة مار بولس وحياته اليوميّة. يكمن الجواب في أربع نقاطٍ تُبرز لنا سمات الرسول الباطنيّة: التكريس النهائيّ للذات، الاقتداء بالمسيح، التواضع والاعتراف بالضعف، والثقة الكاملة بالله.

١. ١ تكريسٌ نهائيٌ للذات

لقاءُ مار بولس بالمسيح على طريق دمشق أعاد توجيه حياته بكاملها وأحدثَ انقلاباً جذريّاً في مفاهيمه الخاصّة. لذا، لم يعد يبحث عن أيَّة سعادةٍ أو نجاحٍ أو تحقيقٍ للذات خارج المسيح: "ما أحياه الأن في الجسد، فإنّما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبّني وأسلم نفسه لأجلي" (غل ٢: ٢٠). فالله الذي فصَلَه من بطن أمّه، هو الذي دعاه بنعمةٍ مجانيَّة وأراد أن يكشف له عن ابنه (غل ١: ١٥-١٦). فمنذ ذلك اليوم، لم يبقَ لمار بولس سوى مشروعٌ واحدٌ يحقّقه وهو أن يُخضِع إرادته لمشيئة الله. لقد استولى عليه المسيح فراح يسعى كي يُدرك من أدركه (فل ٣: ١٢) وأصبح كلّ شيءٍ في حياته (فل ١: ٢١). لذا، إن عاش وإن مات فهو له (روم ١٤: ٨).

متأكّدٌ من دعوةِ الله له، حرص مار بولس على الإسراع في إعلان الإنجيل إلى جميع الأمم لأنّ الزمان قصير (١ قور ٧: ٢٩)، كالسفينة التي تلف الشراع علامةً لوصولها إلى الميناء: إعلان الإنجيل "ضرورةٌ موضوعةٌ عليّ، والويل لي إن لم أبشّر" (١ قور ٩: ١٦). لا بل أكثر من ذلك، فَهِمَ أنّ دعوة الله تتطلّب منه تكريساً للذات لا عودة فيه، فلم يتخلَّ يوماً عن أن يكون "سفيراً للمسيح" (٢ قور ٥: ٢٠؛ أف ٦: ٢٠)، حتى وإن أعجزه السجن عن ذلك.

١. ٢ الاقتداء بالمسيح

على مثالِ يسوع، في أول خطبة له في مجمع الناصرة (لو ٤: ١٧-٢١) ، رأى مار بولس رسالته مجسَّدةً في صورة "عبد يهوه المتألّم" الذي اختاره الله وجعله "عهداً للشعب" (أش ٤٩: ٦-٨ ؛ ٢ قور ٦: ١-٢؛ أعمال ١٣: ٤٧). هذا الإطار الكتابيّ وضع مار بولس أمام الآلام التي احتملها المسيح، وذكّره بأنَّ المحبّة وحدها هي التي دفعت المسيح إلى تتميم عمل الخلاص. هذه المحبّة عينها دفعت مار بولس (٢ قور ٥: ١٤) وامسكت به دون أن تدعه يستريح، لا بل طاردته باستمرار كي "يوجد في المسيح ويعرف قوّة قيامته وشركة آلامه ويتشبّه بموته لعلّه يبلغ إلى قيامة الأموات" (فل ٣: ٩-١١). لذا قَبِلَ أن يعمل الموت فيه والحياة في الآخرين (٢ قور ٤: ١٢)، لأنّه "صُلب مع المسيح" (غل ٢: ٢٠) "من أجل جسده، الذي هو الكنيسة" (قول ١: ٢٤)، وهو لا يخاف من الموت، لأنّه يعلم أنّ هذا الأخير هو ربحٌ، لا بل رغبةٌ في "أن يكونَ مع المسيح" (فل ١: ٢١-٢٣). لكن هذه الرغبة تحوَّلت إلى رغبةٍ أكبر وهي أن "يتمجّد المسيح في جسده سواءٌ كان بحياته أم بمماته" (فل ١: ٢٠)؛ لأنّ الهدف ليس ما تتوق إليه نفسه بل ما يُرضي الله. لذلك فرَحَ بإمكانه أن "يكون مع المسيح" حتّى وإن بقي حيّاً "ينسكبُ على ذبيحة إيمان الآخرين وخدمتهم" (فل ٢: ١٧).

١. ٣ التواضع والاعتراف بالضعف

يعتبر بولس نفسه كـ"السقط" ومن أصغر الرسل (١ قور ١٥: ٨-٩). حتّى وإن عمل أكثر باقي الرسل (١ قور ١٥: ١٠)، وسمع كلمات لا يمكن لبشرٍ أن ينطق بها (٢ قور ١٢: ٤)، فقد احتفظ، بشكلٍ مؤثّر، بما يُظهر ضعفه. ولم يُرِد أن يفتخر بلقبٍ آخر سوى صليب المسيح (غل ٦: ١٤)، لأنّ كلّ ما تبقّى هو نفاية (فل ٣: ٨). علاوةً على ذلك، هذا الارتيابُ من الشهرة لا يُشير إلى الهزيمة أو إلى الحطّ من قَدر العمل الرسوليّ، بل إلى التواضع الاختياريّ الذي يبقى مُبتهجاً. فإن كان مار بولس قد قبل ضعفه، وافتخر بما دلّ عليه (٢ قور ١١: ٣٠)، كان الهدف "لكي تحلّ عليه قوّة المسيح" (٢ قور ١٢: ٩).

١. ٤ الثقة الكاملة بقدرة الله

عندما أراد الله، في تصميمه الخلاصيّ، أن يصالح العالم بيسوع المسيح (٢ قور ٥: ١٩)، تدخّل كفاعلٍ مباشر في تاريخ البشريّة ولم يبقَ بعيداً عنها. وعلى هذا الأساس يُبنى رجاء مار بولس: "إذا كان الله معنا ، فمن علينا؟ الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كلّ شيء؟ ...فمن سيفصلنا عن محبّة المسيح؟ أشدّةٌ أم ضيق، أم اضطّهاد، أم جوعٌ أم عريٌ أم خطر أم سيف؟...فإنّي متيقّن أنّه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات، لا حاضر ولا مستقبل، لا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبّة الله التي في المسيح يسوع ربّنا"(روم ٨: ٣١-٣٩).

على خلاف الذين كانوا "يكرزون بالمسيح عن حسدٍ وخصام" (فل ١: ١٥) متّكلين على قدراتهم الذاتيّة، اتّكل بولس على "النعمة التي وُهبت له من الله"، واثقاً بأنّ قوةّ الروح وحدها تجلب الأمم إلى طاعة المسيح وتزيدهم رجاءً (روم ١٥: ١٣-١٥) وليس القوى البشريّة. لذا، يصبح "خادم المسيح" أداةً يكون من خلالها "قربان الأمم مقبولاً مقدّساً بالروح القدس" (روم ١٥: ١٦).

بالتالي، إن الدوافع التي توحّد بين حياة مار بولس اليوميّة وصلاته لا تجد معناها إلا من خلال الحضور الحيّ للروح القدس في عمق كيانه. لذا، بعدما رأينا كيف عاش وتفاعل مار بولس مع دعوة الله له، لنسمعه كيف كان يصلّي.

٢. الثوابت الرئيسيّة في الصلاة البولسيّة

٢. ١ التمجيد

تبدأ الصلاة البولسيّة بتمجيدٍ لله، يعرض من خلالها الرسول صفةً من صفات الله، تربط الخالق بالمخلوق، الذي يُشيد بدوره بعظمة الله هاتفاً ومؤكّداً: آمين! فالله في رسائل مار بولس هو: الخالق (روم ١: ٢٦)؛ المبَارَك (١ طيم ١: ١١)؛ الحيّ الحقيقي (١ تس ١: ٩)؛ أبو المجد (أف ١: ١٧)؛ الأمين (١ قور ١٠: ١٣)؛ إله السلام (روم ١٥: ٣٣؛ ١٦: ٢٠)؛ إله المحبّة والسلام (٢ قور ١٣: ١١)؛ إله الرجاء (روم ١٥: ١٣)؛ إله الصبر والتعزية (روم ١٥: ٥)؛ المخلّص (١ طيم ١: ١؛ ٢: ٣؛ ٤: ١٠؛ طي ١: ٣؛ ٢: ١٠؛ ٣: ٤)؛ مانح الحياة (١ طيم ٦: ١٣)؛ الذي يقدّم بذراً للزارع وخبزاً للأكل (٢ قور ٩: ١٠)؛ ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى، الإله الحكيم (١ طيم ١: ١٧)؛ أبو الرأفة وإله كلّ تعزية (٢ قور ١: ٣)؛ الأب الذي يحبّ ويعطي العزاء الأبدي والرجاء الصالح (٢ تس ٢: ١٦)؛ الذي يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنّها موجودة (روم ٤: ١٧).

لكن أبعد من صفاتٍ، إذا جمعت كلّها، يمكنها أن تندرج في عداد الطلبات الليتورجيّة، والتي تشكّل تأملاً كاملاً حول علاقة الله بالبشر؛ تمجيد الله هو تعبيرٌ عن صلاة القلب المستمرّة التي كان يتلوها مار بولس معبراً عن تأثّره الكبير بعظمة الله التي أتمّت المواعيد. يكفي قراءة نشيد البركات الروحيّة في بداية الرسالة إلى أهل أفسس (أف ١: ٣-١٤) كي نشعر كم كان القدّيس بولس مولعاً بحكمة الله التي حقّقت مشروع الخلاص. نلتمس في هذا النشيد عمق الصلاة عند مار بولس، الذي يحثّ جماعة أفسس على التجذّر في التأمل بالعمل الخلاصي الذي تمّ من خلال يسوع المسيح.

هذا هو إيمان بولس وصلاته. فالمحور الأساسي الذي يدور حوله هو السعي إلى اللّقاء الشخصي بيسوع المسيح. أحبَّ مار بولس أن يعيد قراءة كلّ تاريخ البشريّة إنطلاقاً من قلب الله، لأنّه احتاج أن يعلن للعالم من جديد أنّ الله لا يزال يعمل إلى الآن من أجل خلاص العالم. لكن قبل أيّة قراءة شخصيّة للأحداث وقبل أيّ إرشادٍ يعطيه، كان الرسول يأخذ قسطاً كافياً من الوقت ليتذكّر ويسمع في أعماقه كلمة الله، ليترك المجال له وحده أن يعمل في حياته وحياة المؤمنين، بدلاً من أن يفرض على الآخرين اختباراته الشخصيّة.

٢. ٢ الشكر

الشكر عاملٌ هام في صلاة مار بولس الشخصيّة ينعكس على علاقاته مع الآخرين. فبولس هو الإنسان المفعم بالشكر. في رسائله، يوجّه الشكر دوماً إلى الله الآب، ما عدا في نصٍّ واحد من رسائله الراعويّة (١ طيم ١: ١٢) حيث يوجّه الشكر للمسيح: "أحمد المسيح يسوع ربّنا الذي قوّاني واعتبرني أميناً، فدعاني إلى خدمته". بالنسبة إلى مار بولس، المسيح هو وسيط صلاة الشكر التي تتصاعد إلى الآب: فبولس والجماعة المسيحيّة يشكرون الربّ يسوع المسيح (روم ١: ٨؛ ٧: ٢٥)، أو باسمه (أف ٥: ٢٠؛ قول ٣: ١٧). لا يذكر مار بولس، في رسائله، بشكل واضح، أنّ المسيحيّ يؤدّي الشكر لله بواسطة الروح؛ لكنّه يفضّل أن يقول بأنّ الروح هو موحي المزامير، والأناشيد، والترانيم التي ينشدها المؤمنون لله كعرفانٍ للجميل (قول ٣: ١٦؛ أف ٥: ١٩).

الشكر في حياة مار بولس مستمرّ، لأنّه يرافق كلّ ذكرياته الرسوليّة. ما إن يعلم بولس بأيّ جديدٍ عن جماعاته (قول ١: ٣؛ أف ١: ١٦) من تقدّمٍ في الإيمان ولقاءٍ في المسيح، حتّى يرفع الشكر لله على تقدّمهم وليس ليفتخر بما قام به من بشارةٍ أو زيارة: "نشكر الله كلّ حينٍ من أجلكم جميعاً ونذكركم دائماً في صلواتنا" (١ تس ١: ٢)؛ "أحمد إلهي كلّما ذكرتكم" (فل ١: ٣)؛ "أحمد الله...وأنا أذكركَ ليلاً ونهاراً في صلواتي" (٢ طيم ١: ٣).

من الواضح أنَّ للتقليد اليهودي في أداء الشكر تأثيره على تفكير مار بولس. فالرسائل اليهوديّة كانت تبدأ أيضاً بفعل شكرٍ يؤدّيه الكاتب لله قبل البدء بموضوع الرسالة. لكن أبعد من عادةٍ يمارسها كاتب الرسالة، رفع الشكر لله، في رسائل مار بولس، هو من الاحتياجات والمتطلّبات الأساسيّة للصلاة. لذا، في عديدٍ من الأحيان يغلّف الشكر كلّ محتوى الرسالة أو ينفجركهتافٍ من عمق القلب: "الحمد لله بربّنا يسوع المسيح!" (روم ٧: ٢٥)؛ "الحمد لله على عطيّته التي لا توصف" (٢ قور ٩: ١٥).

فعل الشكر، عند مار بولس، يهدف أيضاً إلى تبيان عمل تقديس الآب في الجماعة وفي حياة كلّ معمَّد. فكلّ شيء يبدأ باختيارٍ سرّي من الله: "أمّا نحن فعلينا أن نحمد الله كلّ حينٍ لأجلكم أيّها الإخوة، يا أحبّاء الربّ، لأنّ الله اختاركم منذ البدء ليخلّصكم بالقداسة التي يمنحها الروح وبالإيمان الحقّ" (٢ تس ٢: ١٣)؛ "الآب شاكرين الآب لأنه جعلكم أهلاً لأن تقاسموا القدّيسين ميراثهم في ملكوت النور. فهو الذي نجّانا من سلطان الظلام ونقلنا إلى ملكوت ابنه الحبيب" (قول ١: ١٢-١٣).

كلُّ مؤمنٍ قَبِلَ هذه "العطيّة التي لا توصف" (٢ قور ٩: ١٥)، و"النعمة المعطاة له في المسيح يسوع" وحده. لذا، من خلال شهادة مار بولس، ما سمعه المؤمنون هو كلام الله وليس كلام الرسول، وهذا سببٌ مباشر لرفع الشكر لله أيضاً: "إنّنا نحمد الله بغير انقطاع لأنّكم، لما تلقّيتم من كلام الله ما سمعتموه منّا، قبلتموه لا على أنّه كلام بشر، بل على أنّه بالحقيقة كلامُ الله يعمل فيكم أنتم المؤمنين" (١ تس ٢: ١٣)؛ "شكراً لله...لأنّكم أطعتم بكلّ قلوبكم تلك التعاليم التي تسلّمتموها" (روما ٦: ١٧).

كذلك أيضاً نموّ إيمان الجماعة تمّ بيسوع المسيح (٢ تس ١: ٣)، حيث صار المؤمنون "أغنياء في كلّ شيء، في أساليب الكلام وأنواع المعرفة". بناءً على ذلك، تظلّ شهادة المسيح راسخةً فيما بينهم وهم ينتظرون بثقةٍ ظهور ربّنا يسوع المسيح (١ قور ١: ٥-٧)، ويشاركون بدورهم في خدمة الإنجيل (فل ١: ٣). فعندما يتذكّر بولس إيمانهم النشيط، ومحبّتهم، ورجاءهم، ومثابرتهم (١ تس ١: ٢؛ ٢ كور ٨: ١٦؛ كول ١: ٣؛ فلم ٤) يرفع الشكر الله: "فأيّ شكرٍ نقدر أن نؤدّيه إلى الله من أجلكم على كلّ هذا الفرح الذي نشعر به أمام إلهنا بفضلكم؟" (١ تس ٣: ٩).

بالرغم من النشاط والمثابرة والتقدّم في الإيمان، لم يكن كلّ شيء مثاليّاً في الجماعات المسيحيّة، حتّى في تلك التي مدح بولس إيمانها ومحبّتها (أف ١: ١٥)، لذا يعطي بولس جماعاته إرشاداتٍ أخلاقيّة دقيقة ومتطلّبة (أف ٤: ١-١٤، ١٧-٣٢). لكن هذا لا ينفي شكره المتكرّر والعفويّ الذي يعكس تفاؤله الرسوليّ وقدرته على الانذهال أمام عمل الله المتواصل في الأنفس. لأنّ مهمّة التبشير التي تقع على عاتق الرسل تبنى على الانتصار وليس على اليأس: "الحمد لله الذي يقودنا في موكب نصره الدائم في المسيح، وينشر بنا في كلّ مكانٍ عبير معرفته." (٢ قور ٢: ١٤). فقيامة المسيح هي التي تؤكّد لبولس الانتصار على الخطيئة والموت، وهذا التأكيد يولّد الفرح في قلب المرسَل: "الحمد لله الذي منحنا النصر بربّنا يسوع المسيح. فكونوا، يا إخوتي الأحبّاء، ثابتين راسخين، مجتهدين في عمل الربّ كلّ حين، عالمين أنّ جهدكم في الربّ لا يضيع." (١ قور ١٥: ٥٧-٥٨).

يرفع بولس الشكر لله على كلّ ما فعله من أجلا خلاص أبنائه. لكنّه لا يرفع الشكر وحده، بل يحثّ الآخرين أيضاً على أداء الشكر: "إحمدوا الله الآب حمداً دائماً في كلّ شيء، باسم ربّنا يسوع المسيح." (أف ٥: ٢٠)؛ "لا تقلقوا أبداً، بل اطلبوا حاجتكم من الله بالصلاة والابتهال والحمد"(فل ٤: ٦). على المسيحيّين أن يشكروا الله ويحمدوه (قول ٣: ١٧)، لأنّهم متأصّلين وراسخين في المسيح وثابتين في الإيمان (قول ٢: ٧)، فعلى الصلاة أن تجعلهم متنبّهين للشكر (قول ٤: ٢). كلّ ما في كيان المؤمن عليه أن ينسكب بفعل شكرٍ لله من أجل المأكل (روم ١٤: ٦؛ ١ قور ١٠: ٣٠؛ ١ طيم ٤: ٣-٥)، من أجل صلاة الآخرين له (٢ قور ١: ١١)، ومن أجل السخاء في العطاء (٢ قور ٩: ١١)، إلخ.

من الواضح أنّ العمل الرسوليّ نفسه، في جميع أشكاله، يؤدّي بالمؤمن إلى أداء الشكر. فإذا كان بولس ورفاقه، قد أُعطوا الخدمة "من رحمة الله" فلا يفقدوا الشجاعة" لأنّهم "يحملون في أجسادهم كلّ حين آلام موت يسوع" وذلك من أجل هدفٍ محدّد "أنَّ كلّ ما كثرت النعمة، كثر عدد الشاكرين لمجد الله" (٢ قور ٤: ١، ١٠، ١٥).

إذاً، بالنسبة إلى مار بولس، من واجب المعمّدين أن يعودوا دوماً بالشكر لله لذا فهو يرشدهم قائلاً: "احمدوا الله على كلّ حال، فهذه مشيئة الله لكم في المسيح يسوع" (١ تس ٥: ١٨).

٢. ٣ الطلب

بالإضافة إلى النصوص التي تعبّر عن التمجيد ورفع الشكر، هناك مجموعةٌ رائعة من المقاطع التي تتعلّق بالطلبات التي يطلبها الرسول من الله. لا يطلب بولس وحده من الله، بل يحثّ الجماعة كلّها على الطلب من الله أيضاً. لكن، على

ما يشدّد مار بولس في صلاته عندما يطلب من الله؟ وما هي إرشاداته التي يعطيها للآخرين في الطلب من خلال رسائله؟

في ما يخصّ حياته الخاصّة، لا يُعلِمُنا القدّيس بولس بما كان يطلب من الله. لكن من خلال مرجعٍ وحيد (٢ قور ١٢: ٨) نعلم أنّه طلب من الله ثلاث مرّات أن تفارقه "الشوكة في الجسد" (٢ قور ١٢: ٧) والله أجابه: "تكفيكَ نعمتي. في الضعف يظهر كمال قدرتي" (٢ قور ١٢:٩). أمّا في ما يخصّ رسالته، فهو يوضِّح بشكل أفضل. أمام رسالةٍ صعبة وأحياناً خطرة، بدل من أن يأخذ موقفاً سلبيّاً، استغاث بولس بالله طالباً منه ليلاً ونهاراً أن يمهّد طريق المجيء إلى الجماعة (روم ١: ١٠؛ ١ تس ٣: ١٠-١١) كي يتمّكن من إتمام عمله الرسوليّ.

صلّى بولس أيضاً من أجل جميع إخوته يهوداً كانوا أم مسيحيّين. فلقد تمنّى لو كان هو نفسه محروماً ومنفصلاً عن المسيح في سبيل إخوته بني قومه في الجسد (روم ٩: ٣)، وتمنّى خلاصهم من كلّ قلبه (روم ١٠: ١). كما وطلب من أجل الرعاة المسيحيّين ومن أجل الجماعات. فهو يتمنّى لإخوته أن يعيشوا في حضور الربّ بفرحٍ وسلامٍ ورجاء: "ربّ السلام نفسه يمنحكم السلام في كلّ وقتٍ وفي كلّ حال. ليكن الربّ معكم جميعاً" (٢ تس ٣: ١٦)؛ "هدى الربّ قلوبكم إلى ما في الله من محبّةٍ وما في المسيحِ من ثبات" (٢ تس ٣: ٥)؛ "ليكن إله السلام معكم أجمعين"(روم ١٥: ٣٣).

في أكثر من مناسبة، تضرّع بولس إلى الله من أجل ارتداد وقداسة الجماعة: "نصلّي إلى الله أن لا تعملوا شرّاً...وكم نفرح عندما نكون نحن ضعفاء وأنتم أقوياء، وما نصلّي لأجله هو أن تكونوا كاملين" (٢ قور ١٣: ٧-٩)؛ ومن أجل قوّتها ثباتها: "نرجو من الله...أن يقوّي قلوبكم فتكونوا بقداسةٍ لا لوم فيها" (١ تس ٣: ١٣). بالنسة إلى مار بولس، الصلاة من أجل الإخوة، هي "الجهاد عنهم ليثبتوا في الكمال ويتمّموا ما يريده الله" (قول ٤: ١٢) "ويتقوّوا بكلّ ما في قدرته المجيدة من قوّة ليتحمّلوا فرحين كلّ شيءٍ بثباتٍ تامّ وصبرٍ جميل" (قول ١: ١١)، ويسعوا دائماً إلى الأفضل، إلى ما يثمر فيهم كلّ عملٍ صالحٍ لينموا في معرفةِ الله (قول ١: ١٠).

أكثر من ذلك، لا يضع بولس حدّاً لطموحاته الروحيّة، لذا في رسائل الأسر (أفسس، فيليبّي، كولوسّي، وفلمون)، يصلّي من أجل حياة المؤمن الباطنيّة التي تقوده إلى معرفة الله الحقيقيّة: "أحني ركبتيّ ساجداً للآب...وأتوسّل إليه أن يقوّي بروحه على مقدار غنى مجده الإنسان الباطن فيكم، وأن يسكن المسيح في قلوبكم بالإيمان، حتّى إذا تأصّلتم ورسختم في المحبّة، أمكنكم في كلّ شيء أن تُدركوا مع جميع القدّيسين ما هو العرض والطول والعلو والعمق، وتعرفوا محبّة المسيح التي تفوق كلّ معرفةٍ، فتمتلئوا بكلّ ما في الله من ملء" (أف ٣: ١٤-١٩).

بعدما رأينا كيف كان مار بولس نفسه يصلّي ويطلب إلى الله من أجل الآخرين، ننتقل الآن لنرى كيف كان يحثّ الآخرين على الطلب من الله. بادئاً ذي بدء، تدعم الجماعة بعضها البعض من خلال الصلاة الحقيقيّة التي تشكّل علامة التضامن فيما بينها (٢ قور ٩: ١٤). هي الصلاة التي لا تتعلّق بالفرد المصلّي وحده ولكنّها ترتبط بمسؤوليّة أكبر

وهي أن تشمل الآخرين: "أطلب قبل كلّ شيء أن تقيموا الدعاء والصلاة والابتهال والحمد من أجل جميع الناس" (١ طيم ٢: ١).

على المؤمن أن يصلّي دائماً وبغير انقطاع، وخاصّةً عندما يفقد السلام الداخليّ وفي أوقاتِ التجربة: "لا تقلقوا أبداً، بل اطلبوا حاجتكم من الله بالصلاة والابتهال والحمد، وسلام الله الذي يفوق كلّ إدراكٍ يحفظ قلوبكم وعقولكم في المسيح يسوع" (فل ٤: ٦-٧). الصلاة المتواصلة تشمل كلّ الإخوة وخاصّةً المبشّرين بالإنجيل: "صلّوا كلّ وقتٍ في الرّوح مبتهلين وتنبّهوا لذلك وواظبوا الدعاء لجميع الإخوة القدّيسين ولي أنا أيضاً، حتّى إذا فتحتُ فمي للكلام منحن الله ما أُعلن به بجرأةٍ سرّ البشارة" (أف ٦: ١٨). فالصلاة من أجل المبشّرين هي مشاركةٌ حقيقيّة في عمل التبشير: "صلّوا لأجلنا حتّى ينتشر كلام الربّ بسرعة ويتمجّد مثلما يتمجّد عندكم" (٢ تس ٣: ١). فبولس يثق بأنّ الصلاة ضروريّة وفعّالة، لأنّه بدون صلاة لا نجاح للرسالة: "ستعينوننا أنتم بصلواتكم، فإذا باركنا الله استجابةً لصلوات كثيرٍ من الناس، فكثيرٌ من الناس يحمدون الله من أجلنا" (٢ قور ١: ١١)؛ "أعرف أنّه يعمل على خلاصي بفضل صلواتكم ومعونة روح يسوع المسيح" (فل ١: ١٩).

أخيراً، يُختصر تعليم مار بولس في الصلاة من خلال ثلاث تأوّهات (روم ٨: ١٦-٢٧). الأوّل هو تأوّه الخليقة التي ترافق آلام الولادة إلى أن يصل الإنسان إلى حريّة أبناء الله. لكن هذا التأوّه لا يُعدُّ صلاةً حقيقيّة لأنّه يقتصر فقط على الإطار الخارجي. أمّا الثاني، فهو تأوّه المؤمنين الذين "لهم باكورة الروح وينتظرون من الله التبنّي وافتداء أجسادهم"، الذي يُعتبر بدايةَ انخراطٍ وتعمُّقٍ في الصلاة، لأنّه صلاةُ الرّجاء. والثالث، هو تأوّه الروح القدس الذي يأتي لنجدة ضعف المؤمن. يتعذَّرُ على المؤمن اجتناب الضعف البشريّ، فهو يَسِمُ شهادته الرسوليّة ويرافقه في كلّ رحلته الأرضيّة، لأنّه يتعلّق بآلامِ هذا الدهر (روم ٨: ١٨). هو هذا الضعف عينه الذي يعوق المؤمن عن الصلاة "كما يجب" (روم ٨: ٢٦)، أيّ أن يطلب "ما يوافق مشيئة الله" (روم ٨: ٢٧)، الذي "أعدَّ للذين يحبّونه ما لم يخطر على قلب بشر" (١ قور ٢: ٩).

إذا كان الضعف البشريّ يجعل المسيحيّ يتأوّه متألّماً، فكم بالحريّ يكون تأوّه الروح القدس الذي فيه بشكلٍ معاكس ينجده ويزرع في قلبه الرجاء، لأنَّ "آلام هذا الدهر لا توازي المجد المزمع أن يتجلّى فيه" (روم ٨: ١٨). لكن تأوّه الروح القدس هذا لا يلغي التأوّه البشريّ، بل يرافقه كي يُفضي به إلى الكمال. لذا، فالضعف البشري يبقى ولا يمكن للإنسان أن يلغيه من حياته. لكنّ الروح الذي يسكن فيه، هو الذي يجعل من ضعفه قوّة ويوجّهه نحو المجد بحسب مشيئة الله. فعندما يدخل المؤمن إلى مخدعه ويُغلق بابه ليصلّي بكلماته البشريّة الناقصة، يأتي الروح ليشفع له "بأنّاتٍ لا توصف" (روم ٨: ٢٦) خالية من الكلام، وأبعد من أيّ كلام.

الخاتمة

الصلاة في حياة مار بولس هي انعكاسٌ مباشر لحياته بكاملها بحيث تشكلّ محور اتّحاده بالمسيح وبالآخرين. لقاء بولس بالمسيح على طريق دمشق كان الحدث المؤسس لتجديد حياته، وبالتالي حياة الصلاة في داخله. فحياته كانت

كلّها صلاة! لكنّها لم تقتصر على الوقت الذي كان يكرّسه للانفراد بنفسه ضارعاً إلى الله وشاكراً له على نعمه التي لا تحصى أو على نجاح عمله الرسوليّ، بل تحوّلت إلى صلاة القلب التي تتردّد وحدها في كيانه وتشعّ إلى الخارج لتُظهر وتعبّر عن الحياة الروحيّة الداخليّة العميقة القادرة على أن تقرأ في كلّ حدثٍ إرادة الله. إذاً، يمكننا القول بأنّ مار بولس فهم بالصلاة ما يتخطّى العقل والتحليل البشريّ. لذا، أينما وجد الضعف البشريّ، الصلاة هي علامة الرجاء ونقطة انطلاقٍ للسير نحو الله. إنّها الثقة بأنّ الصلاة تتخطّى الطلب، لأنّ ليس الإنسان هو الذي يتوق إلى الصلاة، بل المسيح نفسه هو الذي يدعو إليها ويستجيبها في آنٍ معاً بواسطة الروح القدس.

الأخت دولّي شعيا

في ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٠٨

المراجع

BRUNOT, A., *Le génie littéraire de saint Paul* (LeDiv 15; Paris 1955).

CERFAUX, L., "L'Apôtre en présence de Dieu: essai sur la vie d'oraison de saint Paul", dans J. Duculot (ed.), *Recueil Lucien Cerfaux : études d'exégèse et d'histoire religieuse de Monseigneur Cerfaux réunies à l'occasion de son soixante-dixième anniversaire* (BeThl 7; Gembloux 1954) 469-81.

CULLMANN, O., "La prière selon les Épîtres pauliniennes," *TZ* 35 (1979) 90-101.

MARCHESELLI, C. C., *La preghiera in S. Paolo* (BTN 5; Napoli 1975).

MONLOUBOU, L., *Saint Paul et la prière*. Prière et évangélisation (LeDiv 110; Paris 1982).

QUINN, J., "Apostolic Ministry and Apostolic Prayer," *CBQ* 33 (1971) 479-91.

TASSIN, C., *Saint Paul.* Homme de prière (VCC; Paris 2003).

ZEDDA, S., *Preghiera e apostolato in S. Paolo*. Lettura spirituale e meditazione sul grande apostolo per sacerdoti (VerVi 4; Fossano 1961).